

## ألفاظ الخشية في القرآن الكريم دراسة بلاغية

د. نعمان شعبان علوان \*

د. محمد شعبان علوان \*

### معنى الخشية

الخشية بمعنى الخوف يقال خشى الرجل يخشى خشية أى خاف، قال ابن سيده: خشيه يخشاه خشياً وخشية وخشاة ومخشاة ومخشية وخشيانا وتخشاة: خافه، ويقال هذا المكان أخشى من ذلك أى أشد خوفاً، وفي حديث خالد: أنه لما أخذ الراية يوم مؤتة دافع الناس وخاشى بهم أى أبقى عليهم وحذر فأنحاز. وخاشى فاعل من الخشية .

وتأتى خشينا بمعنى علمنا أو كرهنا كما فى قوله تعالى " فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا" <sup>(١)</sup> قال الفراء معنى فخشينا أى فعلمنا. وقال الزجاج فخشينا من كلام الخضر ومعناه كرهنا، ولا يجوز أن يكون فخشينا عن الله، والدليل على أنه من كلام الخضر قوله تعالى " فأردنا أن يبدلها ربهما"، وقد يجوز أن يكون فخشينا عن الله عز وجل؛ لأن الخشية من الله معناها المراقبة، ومن الأدمين الخوف. <sup>(٢)</sup> وقال الأخفش خشينا بمعنى كرهنا <sup>(٣)</sup> .

وقد تأتى الخشية بمعنى الرجاء كما فى حديث ابن عمر قال له ابن عباس: " لقد أكثرت من الدعاء بالموت حتى خشيت أن يكون ذلك أسهل لك عند نزوله" وخشيت هنا معنى رجوت.

---

\* أستاذة البلاغة والإعجاز القرآني المشاركان بالجامعة الإسلامية بغزة .

(١) الكهف : ٨٠

(٢) لسان العرب ابن منظور ج ٢ ص ١١٦٩ دار المعارف . القاهرة

(٣) مختار الصحاح الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ترتيب محمود خاطر ص ١٧٦ الفكر بيروت .

وتحمل الخشية معنى الخوف بتعظيم ومهابة كما فى قوله تعالى "إنما يخشى الله من عباده العلماء"<sup>(١)</sup>.

والخشْيُ على فعيل اليايس من النبت أو اليايس العفن يقال نبت خَشْيٌ وحشيٌّ أى يابس قال ابن الأعرابي: الخشا: الزرع الأسود من البرد والخشو: الحشف من التمر<sup>(٢)</sup>.

مما تقدم تبين أن الخشية تجمع عدة معان: إنها الخوف والتعظيم والعلم والكراهة والرجاء مع أن لكل واحد من هذه المعانى لفظاً خاصاً بها يميزها عن الخشية .

### الفرق بين الخشية والخوف

الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه . ولذلك وصف العلماء بها فى قوله تعالى "إنما يخشى الله من عبادة العلماء"<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى "وليشخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً"<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم"<sup>(٥)</sup> أى لا تقتلوهم معتقدين لمخافة أن يلحقهم إملاق. والخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين ... وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية، قال عليه الصلاة والسلام: " إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية "<sup>(٦)</sup> قال العسكرى: الخوف يتعلق بالمكروه، فيقال " خفت زيدا " ، كما قال تعالى " يخافون

(١) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية - مصر ط دار المعارف ج ١ ص ٢٣٧ .

(٢) لسان العرب ابن منظور ج ٢ ص ١١٦٩ .

(٣) فاطر : ٢٨

(٤) النساء : ٩

(٥) الإسراء : ٣١

(٦) بصائر ذوى التمييز الفيروز آبادى ج ٢ ص ٥٤٤

ربهم من فوقهم " (١) والخشية؛ تتعلق بمنزل المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية؛ ولهذا قال تعالى " يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب " (٢) فإن قيل أليس قد قال : "إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل " (٣) قلنا إنه خشى القول المؤدى إلى الفرقة ، والمؤدى إلى الشئ بمنزلة من يفعله (٤) .  
الفرق بين الخشية والانتقاء

قال العسكري: الانتقاء يحمل معنى الاحتراس مما يخاف، وليس ذلك فى الخشية (٥) ويقال توقى واتقى بمعنى ، وقد توقيت واتقيت الشئ حذرته (٦) .  
الخشية والإشفاق :

الخشية خوف مع تعظيم، والإشفاق خوف مع التوقع والحذر، وفيه رقة وضعف .

والشفق: الخيفة، يقال: شفق شفقاً فهو شفيق والجمع شفقون وإذا قيل أشفقت منه فإنما تعنى حذرته . قال ابن سيده . أشفق عليه حذر ، وأشفق منه جزع ، والشفق والشفقة : الخيفة من شدة النصح (٧) .  
الخشية والرغبة :

الرغبة هى الإمعان فى الهرب من المكروه، وهى ضد الرغبة التى هى سفر القلب فى طلب المرغوب فيه (٨) وفى اللغة يقال رهبت وهى قلبى منه رهبة .

---

(١) النحل : ٥٠

(٢) الرعد : ٢١

(٣) طه : ٩٤

(٤) الفروق فى اللغة أبو هلال العسكري ص ٢٣٦ تحقيق لجنة إحياء التراث منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط ٥ ١٩٨٣ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٣٨

(٦) أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار هلال ص ٦٠ مكتبة وهبه القاهرة ط ٢ ١٩٩٦ م

(٧) انظر لسان العرب ج ٤ ص ٢٢٩ دار المعارف

## الخشية والوجل :

الوجل هو رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانته وعقوبته أو لرؤيته، قال تعالى: "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلّة أنهم إلى ربهم راجعون" (٢) يقال رجل وجلّ وقوم وجلّ وفي قلبه وجلّ (٣) .  
الخشية والهيبة:

الهيبة خوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والإجلال (٤) .

## الألفاظ المكية والمدنية للخشية

### أولاً : الألفاظ المكية :

ورد في القرآن الكريم تسعة ألفاظ للخشية في اثنين وعشرين موضعاً فى خمس عشرة سورة مكية على النحو التالى:

خَشِيَ : يس ١١ - ق ٣٣

خَشِيتُ : طه ٩٤

خَشِينَا : الكهف ٨٠

تَخَشَى : طه ٧٧ ، النازعات ١٩

يَخْشَى : طه ٣، ٤٤ فاطر ٢٨ النازعات ٢٦ عبس ٩ الأعلى ١٠

يَخْشَاهَا : النازعات ٤٥

يَخْشَوْنَ : الأنبياء ٤٩ فاطر ١٨ الزمر ٢٣ الملك ١٢

وَاحْشَوْا : لقمان ٣٣

خَشِيتَهُ : الأنبياء ٢٨

---

(١) بصائر ذوى التميز - أبادى الفيروز ج ٢ ص ٥٤٥ تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٩٦٥ م.

(٢) المؤمنون : ٦١

(٣) الأساس للزمخشري ص ٤٩٢ تحقيق عبد الرحيم محمود بيروت ١٩٨٢ م.

(٤) بصائر ذوى التميز - الفيروز أبادى ج ٢ ص ٥٤٦

## ثانياً: الألفاظ المدنية :

ورد في القرآن الكريم ست عشرة لفظة للخشية في ستة وعشرين موضعاً  
في عشر سور مدنية على النحو التالي :

خشى : النساء ٢٥ البينة ٨

تخشى : الأحزاب ٣٧

تخشاه : الأحزاب ٣٧

تخشوا : المائدة ٤٤

تخشون : التوبة ٢٤

أتخشونهم: التوبة ١٣

تخشوه : التوبة ١٣

تخشوهم : البقرة ١٥٠، المائدة ٣

نخشى : المائدة ٥٢

يخش : النساء ٩، التوبة ١٨، النور ٥٢

يخشون : النساء ٧٧، الرعد، ٢١، الأحزاب ٣٩

يخشونه : الأحزاب ٣٩

واخشون : المائدة ٣، ٤٤

واخشوني: البقرة ١٥٠

فاخشوهم : آل عمران ١٧٣

خشية : البقرة ٧٤ ، النساء ٧٧، النساء ٧٧ ، الحشر ٢١

مما تقدم نلاحظ أن بعض الألفاظ للخشية مكي وبعضها مدني وبعضها مكي

ومدني

أما الألفاظ التي وردت في السور المكية فهي تسعة ألفاظ فقط

"خشى: خشيت : خشينا: تخشى: يخشى: يخشاها: يخشون: اخشوا، خشيته"

وأما الألفاظ التي وردت في السور المدنية فهي أربع عشرة لفظة فقط  
"خشى، تخشاه، تخشى، تخشوا، تخشون، أتخشونهم، تخشوه، تخشوهم، نخشى،  
يخش، يخشونه، واخشون، واخشوني، فاحشوهم".

ومن ذلك نرى الألفاظ المشتركة التي وردت في السور المكية والمدنية

أربعة ألفاظ فقط

"خشى، تخشى، يخشون، خشية"

الألفاظ المكية خاصة : ٥

الألفاظ المدنية ١٢

الألفاظ المشتركة ٤

صيغ الخشية "أفعال وأسماء"

وردت ألفاظ الخشية في القرآن الكريم موزعة بين الأفعال والأسماء على

النحو التالي :

أولاً: الأفعال

أ. ثلاثة أفعال بصيغة الماضي .

ب. ثلاثة عشر فعلاً بصيغة المضارع.

ج. أربعة أفعال بصيغة الأمر .

ثانياً : الأسماء

أ. اسمان ( مصدران )

وسأوضح هذه الحقيقة في الجدول التالي:

جدول لصيغ الخشية واستخداماتها في السور المكية والمدنية

صيغ الخشية	السور المكية	السور المدنية	مجموع استخداماتها	نوع الصيغة	عدد استخدام الصيغ
خشي	٢	٢	٤	فعل ماضى	٦ ست استخدامات
خشيت	١	-	١	فعل ماضى	
خشيت	١	-	١	فعل ماضى	
تخشى	٢	١	٣	فعل مضارع	٢٩ تسع وعشرون استخداما
تخشاه	-	١	١	فعل مضارع	
تخشوا	-	١	١	فعل مضارع	
تخشون	-	١	١	فعل مضارع	
أتخشوكم	-	١	١	فعل مضارع	
تخشوه	-	١	١	فعل مضارع	
تخشوهم	-	٢	٢	فعل مضارع	
نخشي	-	١	١	فعل مضارع	
بخش	-	٣	٣	فعل مضارع	
بخشي	٦	-	٦	فعل مضارع	
بخشاهما	١	-	١	فعل مضارع	
بخشون	٤	٣	٧	فعل مضارع	
بخشونه	-	١	١	فعل مضارع	
واخشوا	١	-	١	فعل أمر	٥ خمس استخدامات
واخشون	-	٢	٢	فعل أمر	
واخشوني	-	١	١	فعل أمر	
فاخشوهم	-	١	١	فعل أمر	
خشية	٣	٤	٧	اسم مصدر	ثمانى مرات
خشيتة	١	-	١	اسم مصدر	
مجموع استخدام الألفاظ	٢٢	٢٦	٤٨		٤٨

## قراءة بلاغية لصيغة الفعل المضارع

من الجدول السابق يتبين أن صيغة المضارع التي جاءت بها ألفاظ الخشية أوسع استخداماً من باقي الصيغ حيث جاءت ثلاث عشرة لفظة في تسعة وعشرين موضعاً، وذلك لأن صيغة المضارع تفيد الاستمرارية والديمومة، بخلاف الماضي الذي يفيد الحدوث والانقطاع، ليبين أن فعل الخشية يجب أن يبقى ملازماً للإنسان لا ينقطع، لأن ملازمته يترتب عليها معان كثيرة، منها التقوى والاستقامة والبعد عن المعاصي واقتراف الذنوب... الخ ومن هنا تغلبت هذه الصيغة على صيغة الماضي والأمر . وهذا أسلوب قرآني، فقد استبدل القرآن في كثير من خطابه صيغ الماضي بصيغ المضارع لأن دلالة الاستمرارية في الخطاب وإن كان ماضياً أقوى من الانقطاع، ومثال ذلك قوله تعالى "يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك" فعبر بالمضارع "أرى" الذي يفيد الاستقبال والاستمرارية ولم يعبر بالماضي رأيت دلالة على أن الرؤية مازالت ماثلة أمام العيان ولم تنقطع صورتها عن الأذهان .

## قراءة صوتية لحروف الخشية

### "خشي"

معنى الحرف : الحرف يمثل حد الشيء قال تعالى "ومن الناس من يعبد الله على حرف" أي على غير ثبات ولا طمأنينة ولا استحكام بصيرة، فكأنه معتمد على حرف دينه غير واسط فيه، كالذي هو على حرف الجبل. وفي الاصطلاح هو وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف، إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت، كما يشتمل حرف الميم على أصوات مختلفة منها الإظهار والإخفاء والإقلاب .

ولذلك لابد من قراءة حروف كلمة الخشية (خ - ش - ي) قراءة صوتية لإظهار بعض الإحياءات الصوتية منها .



حرف الخاء: يرتفع أقصى اللسان حال النطق به بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ ضيق يسمح للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية . حال النطق به<sup>(١)</sup> ومن صفاته الهمس والرخاوة والاستعلاء والانفتاح والإصمات .

**حرف الشين :** يمتاز هذا الحرف بصفة التنفسي، وهي لا تتوفر إلا فيه، بحيث يتنفسى الصوت داخل الفم من جميع النواحي ويخرج من وسط اللسان فيلتقي وسط اللسان بمؤخر اللثة ومقدم الحنك الأعلى، وفي هذه الحالة يكون الجزء الأساسي من جسم اللسان مرفوعا نحو الحنك الأعلى ولا تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به. والشين عند علماء العربية أحد أصوات ثلاثة من وسط الحنك وبعضهم يسميه بالصوت الشجري<sup>(٢)</sup> ومن صفاته الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات، والتنفسي .

**حرف الياء:** من الحروف الشجرية لأن مبدأها من شجر الفم أى مخرج الفم وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى<sup>(٣)</sup> .

ومن صفاته الجهر والرخاوة والاستفال والانفتاح واللين والإصمات

#### جدول يوضح صفات الحروف

خ	ش	ى
همس	همس	جهر
رخاوة	رخاوة	رخاوة
استعلاء(تخميم)	استفال(ترقيق)	استفال (ترقيق)
إصمات	إصمات	لين
المخرج/أدنى الحلق	المخرج/وسط اللسان	المخرج/وسط اللسان

(١) علم اللغة العام د. كمال بشر ص ١٢١ دار المعارف مصر

(٢) نفس المرجع ص ١٢٠

(٣) نفس المرجع ص ١٢٨

مما تقدم نلاحظ تباعداً فى المخرج والصفة بين الخاء والشين وتقارب فى

المخرج والصفة بين الشين والياء

صفات الحروف (خ - ش - ي):

١. الهمس : الخفى من الصوت وهو " جريان النفس فى المخرج عند النطق بالحرف، وذلك لضعف الاعتماد على المخرج، ولذا يكون الصوت خفياً ضعيفاً ". وحروفه " حثه شخص فسكت " .

٢. الجهر: الإعلان والإظهار، وهو " انحباس النفس فى المخرج عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج، فيصدر الصوت من المخرج مجهوراً واضحاً " . حروفه مجموعة فى قولهم "عظم وزن قارئ غض ذى طلب جد" .

٣. الرخاوة: ضد الشدة ، ويراد بها جريان الصوت فى مخرج الحرف عند النطق به وذلك لضعف انحصاره فيه "حروفه ماعدا حروف الشدة الثمانية (أجدك تطبق).

٤. الاستعلاء: الارتفاع وهو ارتفاع جزء كبير من اللسان أو معظمه عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى " . حروفه "خص ضغط قط" .

٥. الاستفال: الانخفاض وهو "انخفاض اللسان إلى قاع الفم عند النطق بالحرف" حروفه ماعدا حروف الاستعلاء المذكورة .

٦. اللين: ضد الخشونة وهو "إخراج الحرف فى لين وعدم كلفة "حروفه - الواو - والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما .

٨. الانفتاح: الافتراق وهو "تجافى كل من طانفتى اللسان والحنك الأعلى عن الأخرى حتى يخرج النفس من بينهما عند النطق بالحرف". حروفه: كل الحروف ماعدا أربعة "ص - ض - ظ - ط"

٩. الإصمات : ضد الإذلاق وهو ثقل الحرف وبطء خروجه من مخرجه لبعده مخرجه عن ذلق اللسان والشفة. وحروف الإصمات ماعدا حروف الإذلاق وهى "قر من لب " . وسميت حروف الإصمات بهذا الاسم لامتناع حروفها عن بناء كلمة

رباعية أو خماسية بدون إضافة أحد حروف الإذلاق إليها، فلو وجدت بدون أحد الحروف المذلفة وغير مزيدة فذلك دليل عجمتها مثل (عسجد - اسماقة) .  
بعض الإحياءات الصوتية لحروف الخشية :

إن القارئ للقرآن أو المستمع إلى ألفاظه يجد لها صورتين : صورة صوتية وصورة مرئية. والصورة كما يقول الجاحظ هي آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يتم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت<sup>(١)</sup>. والقرآن الكريم كتاب الله المعجز يبلغ قمة التميز في هذه الناحية، وهذا ما يفسر الصدى الكبير الذي أحدثته أسلوبه حين هز المشركين هزاً عنيفاً، فلما استمع بعضهم إلى آيات من كتاب الله خر ساجداً فسئل: لم سجدت؟ فقال سجدت لبلاغته. ووقفاً عند الدلالة الصوتية وارتباطها بالمعنى أحببت أن أشير إلى بعض الإحياءات الصوتية لحروف الخشية، علماً بأننا ننظر إلى الدلالة الصوتية من زاويتين: الأولى الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه وإيقاعه، والثانية ما يحدثه هذا الصوت من إبراز المعنى وتأكيده .

**معنى الإحياء:** الإحياء هو ميزة صوتية تحرك الخيال نحو سلسلة من المعاني تتداعى متصلة بالكلمة، وهو مرتبط غالباً بجرس الكلمة وإيقاعها<sup>(٢)</sup>.

١. مجيء التفتيح ثم الترقيق (خ . ش) يعطى جمالا صوتيا وفيه جذب للسامع وهذا نتيجة التنوع في الصوت ولا بد لقارئ القرآن أن ينطق بحروف اللغة نطقاً صحيحاً، وإلا فقد هذا الجمال الصوتي للحروف . ولذلك تعد علاقة الخاء والشين علاقة تقارب لاختلاف مخارجهما فالخاء من أصوات المنطقة الثالثة وهي منطقة ما بعد الوسط وتشمل الطبق واللهاة ، والشين من أصوات المنطقة الثانية وهي منطقة وسط

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٥٦ تحقيق فوزي عطوي طبعة بيروت

(٢) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم د. محمد إبراهيم شادي ص ٧، الشركة الإسلامية للإنتاج مطبعة الرسالة ط ١٩٨٨ م .

الفم وتشمل الأسنان واللثة»<sup>(١)</sup> علما بأن الصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى يوجد نوعا من التكيف أو المماثلة، وهو تحول الفونيمات المتخالفة إلى مماثلة إما تماثلا جزئيا أو كليا<sup>(٢)</sup>. ومن هنا تظهر لنا أهمية النطق بالكلام نطقا سليما حتى يساعد على تمثل المعنى عند سماعه كما أنه يفجر الطاقات الصوتية الكامنة في الألفاظ والتي تدل على معانيها من نطقها، وخصوصا إذا أعطينا الإلقاء حقه، فأخرجنا الحروف من مخارجها، ولاحظنا النبر والتنغيم، وراعينا مواضع الوقف والوصل، ولذا فإن القرآن وهو النموذج الأسمى وفي البلاغة الصوتية يتوقف الشعورية على قدر كبير من ملاحظة تلك الميزة فيه بحسن تلاوته وهذا ما أشار إليه الرسول عليه الصلاة والسلام "زينوا القرآن بأصواتكم" فإن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان<sup>(٣)</sup>. وقد ميز الرافعي بين موسيقى الألفاظ في لغة العرب وبين موسيقى أصوات القرآن الكريم بقوله "كان العرب يترسلون في منطقتهم كيفما اتفق لهم، لا يراعون أكثر من تكيف الحروف التي هي مادة الصوت إلى أن يتفق لهم من هذه قطع في كلامهم تجيء بطبيعة الغرض الذي تكون فيه الغاية، فلما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته وفي جملة ألحانا لغوية رائعة كأنها لا تتلافها وتتاسبها قطعة واحدة قراءتها هي توقيعها<sup>(٤)</sup> حروف القرآن مؤلفة على نحو خاص ولد إيقاعا صوتيا متميزا، وبهذا فالنظام الإيقاعي الصوتي في القرآن يظهر الوجوه الجمالية لهذه الأصوات. "فالألفاظ داخله في حيز الأصوات لأنها مركبة من مخارج الحروف فما استلذه السمع فهو الحسن، وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح. ولذلك

(١) أثر القراءات في الأصوات د. عبد الصبور شاهين ص ٢٤٦ مكتبة الخانجي. القاهرة ط ١

١٩٨٧م

(٢) دراسة الصوت اللغوي د. احمد مختار عمر ص ٢٧٢ عالم الكتب، ط ٢ ١٩٨١ م.

(٣) إعجاز القرآن الرافعي ص ٢٤٦ المكتبة التجارية ط ٨ ١٩٦٩ م.

(٤) نفس المرجع ص ٢٤٣.

لابد للفظ من نطق سليم بل يعار ليستقر بعدها فى القلب "قالمعنى إذا اكتسب لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا ومنحه المتكلم دلا متعشقا صار فى قلبك أحلى ولصدرك أملا" <sup>(١)</sup> ومن هذا المنطلق أوجد التجاور بين الخاء والشين جمالا صوتيا لأنه يمثل انتقالا من التفخيم إلى الترقيق .

٢. الارتباط بين فعل الخشية والحالة النفسية ، فعمق المخرج لحرف "الخاء" يوحى بعمق الإحساس ، وأن الخشية نابعة من القلب ، ومخرج الخاء أقرب إلى القلب وهذا القرب يوحى بمصدر الخشية ، قال تعالى: " من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب" <sup>(٢)</sup> هذا المصدر الذى يرسل الإشارات إلى الجسم كله فيقتشر من خشية الله ، قال تعالى " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " <sup>(٣)</sup> .

٣. الهدوء والسكينة الناتجة عن الهمس فالخاء حـرف مهموس والشين حرف مهموس . وكأن الخشية سكينة ووقار واستقرار ، والهمس جريان النفس فى المخرج عند النطق بالحرف وذلك لضعف الاعتماد على المخرج وبهذا يكون الصوت خفيا ضعيفا قال تعالى: " وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا" <sup>(٤)</sup> فهل نجد فى مخارج حروف هذا اللفظ همسا إلا هدوءا فى المخارج وإلا همسا فى الصفات؟ وهل نجد فى الميم غير التمتمة المكتومة؟، أى إن هذا اللفظ يشيع بجرسه وصفات حروفه جوا من الصمت المشوب بالذخر والهدوء الذاهل، وهذا هو الحال الخاشع حين يساق لرب العالمين. ثم لابد لهذا الهدوء والوقار والسكينة من ظهور، فجاء حرف الياء مجهورا ، والجهر هو الإعلان والإظهار، وهو انحباس النفس فى المخرج عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج، فيصدر الصوت من

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٦١

(٢) ق : ٣٣

(٣) الزمر : ٢٣

(٤) طه : ١٠٨

المخرج مجهورا واضحا قال تعالى: "سواء منكم من أسر القول ومن جهر به" وبهذا فإن كل حرف من حروف الخشية يؤدي قيمة إيجابية صوتية تلقى مع المعنى العام للخشية، فيحدث التلاحم بين الإيحاء الصوتي والدلالة المعنوية.

### الأساليب البلاغية في ألفاظ الخشية

استخدم القرآن الكريم صيغا متعددة للتعبير عن معنى الخشية، فاستخدم المصدر والمضارع والماضي والأمر، إلا أن استخدامه لصيغة المضارع كان متميزا عن غيره من الصيغ. ومن هذا المنطلق قمت بدراسة الأساليب البلاغية من خلال الصيغ المستخدمة في ألفاظ الخشية، لنرى هذا العدد من الأساليب البلاغية داخل الصيغة الواحدة وقد تم ترتيب الصيغ على النحو التالي: (١) صيغة المضارع (٢) صيغة الماضي (٣) المصدر.

#### أولا: المضارع

استخدم القرآن الكريم الفعل المضارع في التعبير عن الخشية في مواطن متعددة تتمثل في تسعة وعشرين موضعا. ومعلوم عند البلاغيين أن المضارع له قيمة بلاغية، فحيثما استخدم فإنه يحمل في طياته معنى التواصل والاستمرارية في حدوث الفعل سواء في الحال أو الاستقبال، وهذا ما لا يوجد في غيره من الأفعال، سواء كانت أفعالا ماضية أو أفعالا تحمل معنى الأمر وهذا ما جاء في القرآن عندما استخدم المضارع بدلا من الماضي للدلالة على ذلك المعنى الذي لا يحمله الفعل الماضي.

قال تعالى: "يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك"<sup>(١)</sup> مع أن الرؤية ماضية فعبّر بالمضارع "أرى" بدلا من الماضي "رأيت" للدلالة على هذا التواصل المرتبط بالذاكرة من جهة وبالواقع من جهة أخرى.

والفعل المضارع عند النحويين: "ما دل على حدث في زمن صالح للحال والاستقبال، والحال هو الزمن الذي يحصل فيه الكلام، والاستقبال هو الزمن

(١) الصفات: ١٠٢

الذى يبدأ بعد انتهاء الكلام مباشرة<sup>(١)</sup> وإنما سمي مضارعا لمشابهته للاسم، ولهذا أعرب، واستحق التقديم في الذكر على أخويه، فقدمه ابن مالك في ألفيته حيث يقول: <sup>(٢)</sup>  
سواهما الحرف كهل وفي ولم      فعل مضارع يلى لم كيشم .  
وماضى الأفعال بالتامز وسم      بالنون فعل الأمر إن أمر فهم .

وبالنظر إلى المواطن التي استخدم فيها القرآن الكريم صيغة المضارع للتعبير عن الخشية وجدناها تحمل هذا المفهوم الذي يحمل معنى الاستمرارية في تحقق الخشية، وخاصة إذا كانت من الله سبحانه وتعالى. ففي قوله تعالى: "وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى"<sup>(٣)</sup> أى يخشى الله والخشية من الله خوف عن علم فمل بالك بمن يخاف الله وهو يسعى لطلب العلم، لأن السعى هنا بمعنى طلب العلم لله<sup>(٤)</sup>. فعبر بالمضارع يخشى دلالة على التواصل في الخشية من الله سبحانه وتعالى، فمن يخش الله يتقه ويتذكر ويتعلم ويبعد عن المخالفات والمحرمات، ولذلك ربط بين التذكر والخشية في قوله تعالى: "فذكر إن نفعت الذكرى. سيذكر من يخشى"<sup>(٥)</sup> أى سيذكر من يتقى ويخاف، وقد يذكر من يرجوه، إلا أن تذكر الخاشى أبلغ من تذكر الراجي، فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وإن تعلقت بالخشية والرجاء<sup>(٦)</sup> لأن الذي يخشى يكون عارفا بالله، وعارفا بكمال قدرته وعلمه وحكمته، ولذلك جعل القرآن الانتفاع بالذكرى مبنيا على حصول الخشية في القلب، وصفات القلوب مما لا

(١) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٤ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٢ وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ١ ص ٢٧ محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٥ ١٩٧٩ دار الجيل - بيروت.

(٢) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٤

(٣) عبس : ٩، ٨

(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ج ١٩، ص ١٤٠ دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٨٨ م.

(٥) الأعلى : ٩، ١٠

(٦) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ٢٠ ص ١٥

اطلاع لأحد عليها إلا الله فوجب على الرسول تعميم الدعوة تحصيلًا للمقصود ، فإن المقصود تذكير من ينتفع بالتذكير...والسين بمعنى سوف ، وسوف من الله واجب<sup>(١)</sup> وكان المعنى لا يتذكر إلا من خشى الله أو من خشى الله يتذكر ولو بعد حين بما سيتعلمه من التدبر والنظر.

وكذلك ربط القرآن بين خشية الله وما يصيب الجسم من قشعريرة، دلالة على أن مصدر الخشية يمثل موضعاً مركزياً في الجسم مما يؤثر على الجسم كله، قال تعالى: " من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب " <sup>(٢)</sup>

هذا المصدر هو القلب وهو الذى يصدر الإشارات إلى الجسم فيقشعر من خشية الله. قال تعالى: " الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذى يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " <sup>(٣)</sup>

والقشعريرة هى تغير يحدث فى جلد الإنسان عند الوجل والخوف ويقال " أقشعر جلده من الخوف وقف شعره وذلك مثل فى شدة الخوف " <sup>(٤)</sup> وكان كل ما حدث فى جسم الإنسان من قشعريرة ولين قلب كله ناتج عن خشية الله التى عبر عنها بالمضارع، ليبين لنا أنه ما دامت الخشية متواصلة وقائمة ومستمرة ، فالقلب عامر بذكر الله .

وفى هذا المقام يلتفت الفخر الرازي انتباهنا بسؤال يطرحه: " لم قال "إلى ذكر الله" ولم يقل إلى ذكر رحمة الله" فى الآية السابقة؟. ويوضح حقيقة هذا المعنى بقوله: " إن من أحب الله لأجل رحمته فهو ما أحب الله وإنما أحب شيئاً غيره، وأما من أحب الله لا لشيء سواه فهذا هو المحب المحق وهو الدرجة العالية " <sup>(٥)</sup> .

---

(١) التفسير الكبير الرازي ج ٣ ص ١٣١ دار الكتب العلمية - بيروت

(٢) ق : ٣٣

(٣) الزمر : ٢٣

(٤) الكشف الزمخشري ج ٣ - ص ٣٤٥ دار المعرفة - بيروت

(٥) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ٢٣٨ .



ومن هذا القبيل قوله تعالى " إن كان أبائكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين" (١)

فعبر بالمضارع تخشون لموافقة المقام، وذلك لأن الخوف من كساد التجارة أمر يتحقق في الحال والاستقبال. ومعلوم أن التجارة " تمثل " الأمتعة التي يشترونها ليربحوا فيها، والكساد عدم النفاق لفوات وقت بيعها بالهجرة ومفارقة الأوطان. (٢) وهذا أظهر رغبتهم في تحصيل الأموال عن طريق التجارة فدخل الخوف إلى قلوبهم من كساد التجارة ، لأن كسادها يعطل أرباحهم فلا يضاف إلى أموالهم المكتسبة والمخزونة عندهم أموال جديدة ، ولهذا تمثل التجارة عندهم رأس المال، والمال أغلى ما يملك الإنسان، فخافوا عليه خوفاً يحمل في طياته معنى التواصل والاستمرار.

وقد استخدم القرآن الكريم أساليب عدة للتعبير عن الخشية بصيغة المضارع، منها الأسلوب الخبري، والأسلوب الإنشائي (الأمر والنهي والاستفهام)، وأسلوب القصر، والتقديم، وبعض صور الإطناب، وحسن التعليل، والإيجاز، وسنوضح إن شاء الله لفظ الخشية الذي ورد بصيغة المضارع في كل أسلوب من هذه الأساليب على حدة.

### أولاً: الأسلوب الخبري :

وهو الكلام المخبر به، وقد يقال بمعنى الإخبار (٣) والخبر كل قول يستفيد منه المخبر به علماً بشيء لم يكن معلوماً له عند إلقاء القول عليه (٤) وهو عند

(١) التوبة : ٢٤

(٢) فتح القدير الشوكاني ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٣) خلاصة المعاني — المفتي ص ١٢٣ تحقيق د. عبد القادر حسين الناشرون العرب السعودية

. ١٩٨٩

البلاغيين كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، بقطع النظر عن المسلمات والبديهيات والكلام المقطوع بصدقه مثل كلام الله سبحانه وتعالى. ويؤكد هذا ما قاله قدامة في كتابه نقد النثر: "وليس في صنوف القول وفنونه ما يقع فيه الصدق والكذب غير الخبر والجواب إلا أن الصدق والكذب يستعملان في الخبر، ويستعمل مكانهما في الجواب الخطأ والصواب"<sup>(٢)</sup> فإن طابق الواقع كان صادقاً وإن خالف الواقع كان كاذباً .

ومن الأخبار التي ذكرت في القرآن الكريم بلفظ الخشية قوله تعالى: "إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير"<sup>(٣)</sup> فهو خبر بمعنى الوعد فبعد أن ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد المؤمنين "والوعد غرض من الأغراض البلاغية للخبر، فقد وعد الله المؤمنين الذين يخشونه" بالمغفرة لذنوبهم والأجر الكبير بدخولهم الجنة"<sup>(٤)</sup> .

ومثله قوله تعالى: "فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. إن في ذلك لعبرة لمن يخشى"<sup>(٥)</sup> أي: اعتباراً وعظة لمن يخاف الله عز وجل، فبعد أن بين الله لنا أمر فرعون وما حل به من الخزي والعار وبين لنا أمر موسى عليه السلام وما أعطاه الله من العلو والنصر أكد لنا بأكثر من مؤكد هذا الخبر فقال سبحانه: "إن في ذلك لعبرة لمن يخشى" أي عبرة وعظة لمن يخشى الله ويخاف عقوبته ويحاذر غضبه

---

(١) نقد النثر - قدامة بن جعفر ص ٢٨ دار الكتب العلمية . بيروت ، البرهان في وجوه البيان ابن وهب ص ١٢٣

(٢) انظر نقد النثر - قدامة بن جعفر ص ٢٨ والإيضاح للقزويني ص ٩١ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتاب اللبناني بيروت ط ٤ ١٩٧٥ م . وعلم المعاني - عبد العزيز عتيق ص ٤٥ - دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٤ م .

(٣) سورة الملك : ١٢

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ١٨، ص ١٣٨

(٥) سورة النازعات : ٢٥/٢٦

حتى يترك الإنسان التمرد على الله والتكذيب لأنبيائه، فلا ينزل بهم ما نزل بفرعون. وهو بهذا يحذرهم من الوقوع فيما وقع فيه السابقون " فإن شاركتهم في المعنى الجالب للعقاب شاركتهم في حلول العقاب بكم<sup>(١)</sup> فالخبر في هذه الآية يحمل غرضاً بلاغياً هو التحذير، وكأنه يقول: احذروهم واحذروا أفعالهم، وهذا شبيه بقوله تعالى " والله أعلم بأعدائكم<sup>(٢)</sup> فالخبر تضمن معنى التحذير والمعنى ، والله أعلم بأعدائكم أيها المؤمنون فاحذروهم .

### ثانيا : الأسلوب الإنشائي الطلبي

يعتبر الأسلوب الإنشائي الطلبي من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في التعبير عن الخشية، فقرن صيغة المضارع بلا الناهية ولام الأمر وهمزة الاستفهام فأوجد لنا هذه الأساليب الثلاثة (النهي والأمر والاستفهام) وكلها أساليب طلبية ، ومعلوم لدينا أن الإنشاء الطلبي يمثل عند البلاغيين طلباً أو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب<sup>(٣)</sup> ومن الطلب النهي الذي يمثل طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام<sup>(٤)</sup> والأمر يمثل طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام<sup>(٥)</sup> وهذا ما أظهره العلوي بقوله "هو صيغة تستدعي الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء<sup>(٦)</sup> .

ومما تقدم يتضح لنا أن الأمر يتفق مع النهي في أن كل واحد منهما لا بد فيه من اعتبار الاستعلاء وأنهما جميعاً متعلقان بالغير، ويختلفان في الصيغة لأن كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر ، ويختلفان في أن الأمر دال على الطلب

(١) التفسير الكبير الرازي ج ٣١ ص ٤٠ .

(٢) النساء: ٤٥

(٣) معجم المصطلحات البلاغية د. احمد مطلوب ج ١ ص ٣٣٢ المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦ م .

(٤) الإيضاح القزويني ص ٢٤٤ .

(٥) الإيضاح للقزويني ص ٢٤١ ومعجم المصطلحات البلاغية ج ص ٣١٣

(٦) الطراز العلوي ج ٣ ص ٢٨١

والنهي دال على المنع، وأن الأمر لابد فيه من إرادة مأمورة وأن النهي لابد فيه من كراهية منهيّة. <sup>(١)</sup> ومن أمثلة النهي والأمر قوله تعالى " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون " <sup>(٢)</sup> .

فجاء بالمضارع مقرونا بلا الناهية والمعنى فلا تخشوا مطاعن الناس فإنها باطلة داحضة لا تضركم، واخشوني أوفقكم. <sup>(٣)</sup> فالنهي والأمر في الآية على سبيل الإلزام والوجوب، لأنه يترتب على المخالف عقاب، وكان المعنى " احذروا عقابي إن أنتم عدلتم عما ألزمتكم وفرضت عليكم . ويلاحظ أنه سبق النهي بقوله: " إلا الذين ظلموا منهم " لأنهم ادعى للخشية والخوف لظلمهم، ومع ذلك فلا تخافوهم . وكان هذا الأسلوب يتضمن معنى آخر غير الإلزام والوجوب.. انه معنى القصر، وكأنه يطلب منهم ألا يخشوا أحدا غير الله سبحانه وتعالى .

ومن هذا القبيل قوله تعالى في سورة المائدة " اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " <sup>(٤)</sup> .

فقد نهى الله المؤمنين عن خشية جميع أنواع الكفار وأمر بخشيته تعالى التي هي رأس كل عبادة. <sup>(٥)</sup> فلا تخافوا منهم أن يغلبوكم أو يبطلوا دينكم واخشون فإننا القادر على كل شيء، إن نصرتكم فلا غالب لكم وإن خذلتكم لم يستطع غيبي أن

---

(١) الطراز العلوي ج ٣ ص ٢٨٥

(٢) سورة البقرة : ١٥٠

(٣) فتح القدير الشوكاني ج ١ ص ١٥٧ وانظر النكت والعيون للماوردي ج ١ ص ٢٠٧ دار

الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٩٢ م .

(٤) سورة المائدة: ٣

(٥) المحرر الوجيز ابن عطية ج ٢ ص ١٥٤ الدوحة ط ١ ١٩٨٧

ينصركم، ومثله قوله تعالى: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأوئك هم الكافرون" (١).

فقد نهى عن خشية جميع الكفار وأمر بخشيته، وقد جعلها ابن عطية من قبيل النهى فى قوله تعالى: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا" فهى نهى عن جميع المكاسب الخبيثة" (٢)

وقد بين الشوكاني خطورة الخشية من الناس فقال " إذا تحققت خشية الناس يتحقق معها كتمان ما أنزل الله وكأن المعنى " فلا تخشوا الناس فتكنموا ما أنزلنا" (٣) ومن الملاحظ أن النواهي والأوامر التى تقدم ذكرها جاءت على حقيقتها تحمل معنى الإلزام والوجوب، إلا أن بعض الأوامر خرجت عن الحقيقة لتحمل معنى النصيحة والإرشاد . وهذا لا إلزام فيه، ومن أمثلته قوله تعالى: " وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا. وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا" (٤) .

فجاء الفعل المضارع "يخشى" مقرونا بلام الأمر التى أعطته معنى الطلب، فالفعل "وليكش" ليس فعل أمر، بل هو فعل مضارع مع أنه يدل على طلب حصول شىء فى المستقبل، لأن الدلالة على الطلب جاءت من لام الأمر التى فى أوله، لا

(١) المائدة : ٤٤

(٢) المحرر الوجيز ابن عطية ج ٢ ص ١٩٦

(٣) فتح القدير الشوكاني ج ٢ ص ٤٥

(٤) النساء : ٨٠٩

من صيغة الفعل نفسها" (١) فجزم الفعل بلام الأمر، ولا يجوز إضمار هذه اللام عند  
سبويه قياسا على حروف الجر إلا في ضرورة شعر ومنه قول الشاعر  
محمد تقي (٢) نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا

ومفعول يخشى محذوف لدلالة الكلام عليه، وحسن حذفه من حيث يتقدر فيه  
التخويف بالله تعالى، والتخويف بالعاقبة في الدنيا، فينظر كل متأول بحسب الأهم في  
نفسه. (٣) والجملة الشرطية "لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم" هي  
صلة لقوله "الذين" والمعنى "وليخش الذين في صفتهم أنهم لو تركوا ذرية ضعافا  
خافوا عليهم".

والأمر في هذه الآية فيه وعظ وإرشاد للأوصياء بأن يفعلوا باليتامى الذين  
في حجورهم ما يحبون أن يفعل بأولادهم من بعدهم (٤)، وكما روى عن ابن عباس  
أن ذلك أمر من الله تعالى لولاية الأيتام أن يلوهم بالإحسان إليهم في أنفسهم وأموالهم،  
كما يحبون أن يكون ولاية أولادهم الصغار من بعدهم في الإحسان إليهم لو ماتوا  
وتركوا أولادهم يتامى صغارا (٥)

ونلاحظ أن الخشية وردت بعد استحضار الفعل السلوكي وهو "القسمة" ولذلك حمل  
هذا الفعل معنى الوعظ والإرشاد الذي يحمل في طياته معنى التخويف والتحذير.  
القضايا البلاغية التي يتضمنها أسلوب الأمر والنهي :

---

(١) النحو الوافي عباس حسن ج ١ ص ٤٨ دار المعارف مصر ط ٥

(٢) التقدير لتقد نفسك فأضمرت لام الأمر للضرورة الشعرية .

(٣) المحرر الوجيز ابن عطية ج ٢ ص ١٣ .

(٤) انظر فتح القدير الشوكاني ج ١ ص ٤٢١

(٥) النكت والعيون الماوردي ج ١ ص ٥٧ .

١. طباق السلب وهو الجمع بين فعلى مصدر واحد: مثبت ومنفى، أو أمر ونهى<sup>(١)</sup> وهذا يتمثل فى قوله تعالى: "فلا تخشوهم واخشوني"<sup>(٢)</sup> . وقوله تعالى " فلا تخشوهم واخشون"<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: "فلا تخشوا الناس واخشون"<sup>(٤)</sup> وهذا يمثل أحد المحسنات البديعية المعنوية والتي تمثل الجمع بين متضادين .

## ٢. تقديم الرهبة على الرغبة

قدم القرآن الكريم الرهبة والخوف ممثلة فى قوله تعالى: " فلا تخشوا الناس واخشون" والمعنى إياكم وأن تحرفوا كتابى للخوف من الناس والملوك والأشراف على الرغبة الممثلة فى قوله تعالى: "ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا" فى الآية القرآنية "فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا"<sup>(٥)</sup> . فقدم الخوف والرهبة على الرغبة لأن الرهبة أقوى تأثيرا على نفس الإنسان من الطمع فكما نهيتكم عن التبديل لأجل الخوف أنهاكم عن التبديل لأجل الطمع، فى المال والجاه<sup>(٦)</sup> .

## ٣- إفادة معنى التخصيص :

إذا تأملنا اجتماع الأسلوبين فى سياق واحد: النهى عن خشية الناس والأمر بخشية الله فى المواطئ الثلاثة المذكورة شعرنا بإفادة معنى جديد وهو القصر، وكأن

---

(١) تحرير التحرير ابن أبى الأصبع المصري ص ١١٤ تحقيق د. حفنى محمد شرف القاهرة

١٣٨٣هـ

(٢) البقرة : ١٥٠

(٣) المائدة : ٣

(٤) المائدة : ٤٤

(٥) المائدة : ٤٤

(٦) انظر بتصرف التفسير الكبير الرازى ج ١٢، ص ٥

المعنى: لا تخشوا أحدا غير الله لأن الله أحق بالخشية من غيره. وهذا ما أكدناه لنا الزجاج بقوله "فليكن خوفكم لله وحده" (١).

#### ٤ - تقديم النهي على الأمر:

تقدم النهي على الأمر في المواطن الثلاثة التي ذكرناها ، وبهذا يؤكد طلب الخوف من الله وعدم الخوف من غيره ، لأن النهي يحمل معنى الأمر فقوله "فلا تخشوهم" بمعنى "اخشون" ثم يؤكد هذا المعنى بقوله "واخشون" مستخدما صيغة الأمر المباشر للدلالة على قوة الطلب والدلالة على أهمية عدم الخوف من الكفار والخوف من الله وحده .

وبذلك فالنهي يحمل معنى الأمر وليس العكس، ومن جهة أخرى فإن أسلوب النهي يرد الإنسان إلى أصله وإلى صوابه، لأن الأصل في الأمور الاعتقادية الإيمان، ويأتي بعد ذلك الأمر ليؤكد هذا الأصل .

#### ٥ - الوقف والوصل:

المنتبغ لآيات الأمر والنهي يجد اختلاف العلماء حول إثبات الياء وحذفها وصلا ووقفا والمتمثلة في الآيات التالية :

١. قوله تعالى: "فلا تخشوهم واخشوني ولا تم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون" (٢).
٢. قوله تعالى: "فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" (٣).
٣. قوله تعالى: "فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا" (٤).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٢ ص ١٤٨ تحقيق د. عبد الجليل شلبي عالم الكتب بيروت

ط ١٩٨٨م.

(٢) البقرة : ١٥٠٠

(٣) المائدة : ٣

(٤) المائدة ٤٤



أما بالنسبة للآية الأولى فقد أجمع القراء على إثبات هذه الياء وصلا ووقفا (١) .  
وأما بالنسبة للآية الثانية فقد وقف عليه يعقوب بالياء " وهو القارئ التاسع من القراء  
العشرة " والباقون بحذفها، وأجمع القراء على حذفها وصلا تخلصا من التقاء  
الساكنين (٢) . وأما بالنسبة للآية الثالثة فقد قرأ أبو عمرو وأبو جعفر بإثبات الياء  
وصلا وقرأ يعقوب بإثباتها وصلا ووقفا وقرأ الباقر بحذفها وصلا ووقفا (٣) وقد  
جعلها علماء القراءات من ياءات الزوائد، وهى الياءات الزائدة فى اللفظ عن خط  
المصحف، وخلاف القراء فيها دائر بين الحذف والإثبات، وحذف الياء تخفيفا  
لدلالة الكسرة عليها لغة للعرب مشهورة يقولون مررت بالقاض وجاعني القاض  
فيحذفون الياء لدلالة الكسرة عليها (٤) .

ومن الإنشاء الطلبي الاستفهام: وهو طلب الفهم ومعرفة الشيء المجهول  
وعند البلاغيين طلب العنم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة مخصوصة (٥) .

ومن أمثله قوله تعالى: " أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ  
الرَّسُولِ وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أُولَِّ مَرَّةً اتَّخَشُونَهُمْ فَأَلَّهٗ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ " (٦) فقوله اتَّخَشُونَهُمْ استفهام بمعنى النهى أى لا تَخْشُوا الأعداء فإله أولى  
بالخوف والخشية بدليل قوله تعالى " فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشُوا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا

(١) البدور الزاهرة فى القراءات المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضى ص ٤٢ دار الكتاب العربى  
بيروت ط ١ ١٩٨١ م .

(٢) البدور الزاهرة فى القراءات المتواترة ص ٨٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ٩٣

(٤) الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها مكى بن أبى طالب القيسى تحقيق د. محيى الدين  
رمضان ج ١ ط ٣٣ مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ ١٩٨١ م

(٥) انظر مفتاح العلوم السكاكى ص ٣٠٨ تحقيق نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م

. والإيضاح للقروني ص ٢٢٨ ومعجم المصطلحات البلاغية ج ١ ص ١٨١ .

(٦) التوبة : ١٣ .

بآياتي ثمناً قليلاً<sup>(١)</sup> هذا ما ذهب إليه السيوطي في كتابه الإِتقان<sup>(٢)</sup> إلا أن بعض العلماء جعلوه استفهاماً بمعنى التقرُّيع والتوبيخ والمعنى: تخشون أن ينالكم منهم مكروه فتتركون قتالهم لهذه الخشية، ثم بين ما يجب أن يكون الأمر عليه فقال: فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين<sup>(٣)</sup> ويمكن لنا أن نجمع بين المعنيين فالمعنى البلاغي المقصود هو النهي ، فلو تحقق الخوف من الناس استحقوا عليه التقرُّيع والتوبيخ وفي هذا المقام يمكن لنا أن نسأل لماذا عبر بالسؤال وأراد النهي ولم يعبر بالنهي المباشر، وبالإجابة عن هذا السؤال نقول:

١- صيغة النهي تستعمل في فعل مقدر وجوده، وصيغة الاستفهام تستعمل في فعل تحقق وجوده، وهذا الفرق بين قوله " لا تخش " وقوله ( أتخشى ) .

٢- صيغة النهي المباشر التي تحمل معنى الإلزام تعود النفس المخاطبة على الالتزام والاستقامة، وهذا يفهم من الاستجابة الطبيعية من الإنسان عندما يوجه إليه النهي من الله بقوله " سمعنا وأطعنا " فإذا ما تعودت النفس على هذه الاستجابة اتصفت بهذه الصفة لتصبح نفسية ملتزمة مستقيمة .

وأما بالنسبة للسؤال فإنه يرجع الإنسان إلى نفسه وإلى ضميره وإلى عقله، فيفكر ويقدر حقيقة الموقف، ويسأل نفسه: هل يخشى أحداً غير الله أم لا ، هل يليق به كإنسان عاقل أن يتحقق منه الخوف من غير الله أم لا؟ هذه الحالة التي وصل إليها الإنسان تحقق موقفاً واضحاً سرعان ما يقرر الإنسان حقيقة تتناسب مع إيمانه فيعلنها عالية أننى لا أخشى أحداً غير الله، وبهذا يتحقق التفكير والالتزام. وبذلك يحقق لنا هذا الأسلوب فوائد عدة توضح لنا الفرق بين الاستفهام والنهي .

### ثالثاً: التقديم والتأخير :

(١) المائدة : ٤٤

(٢) الإِتقان في علوم القرآن السيوطي ج ٢ ص ٨٠ القاهرة ١٣٦٨ هـ .

(٣) انظر فتح القدير الشوكاني ج ٢ ص ٣٤١ والمحرر الوجيز ابن عطية ج ٦ ص ٤٢٩

يعتبر هذا الأسلوب أحد أساليب البلاغة، والعرب أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق. <sup>(١)</sup> والألفاظ قوالب للمعاني فيجب أن ترتب ترتيباً وضعياً بحسب ترتيبها الطبيعي، ولكن قد يعرض لبعض الكلام من المزايا ما يدعو لتقديمه، وإن كان حقه التأخير، فيكون في الحسن التقديم <sup>(٢)</sup>. وعلى ذلك فلا يأتي التقديم اعتباطاً وإنما لابد له من غرض أو من فائدة يأتي من أجلها . وبعد تتبع لآيات الخشية وجدنا بعض مواطن التقديم، فمرة يقدم الخشية على الخوف ، ومرة يقدم الخوف على الخشية ومرة يقدم الخشية على الإشفاق، وأخرى يقدم الهداية على الخشية، ومن أمثلة التقديم قوله تعالى: " ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب " <sup>(٣)</sup> فقدم الخشية على الخوف لأن الذي يخشى ربه يخاف من سوء الحساب، أو يخاف من سوء الحساب لأنه يخشى ربه فكانه قدم العلة على السعلول أو السبب على المسبب ، وربما يكون من تقديم الأعلى منزلة على الأقل، لأن الخشية من الله ، والخوف خوف فعل، والأول أعلى منزلة من الثاني . وهذا ما أكدته الشوكاني بقوله " ويخشون ربهم خشية تحملهم على فعل ما وجب واجتناب ما لا يحل " <sup>(٤)</sup> .

وفي موطن آخر قدم الخوف على الخشية، والاختلاف راجع إلى اختلاف المقام قال تعالى : " ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً. لا تخاف دركاً ولا تخشى " <sup>(٥)</sup> فقدم الخوف لأنه خوف من فرعون وفيه بشارة له بالأمان وخاصة أن فرعون يطارد موسى . والخوف من

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي ج ٣ ص ٢٣٣ ومعجم المصطلحات البلاغية د. أحمد مطلوب ج ٢، ص ٣٢٥

(٢) انظر علوم البلاغة للمراغي ص ٩٢ دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) الرعد : ٢١

(٤) فتح القدير الشوكاني ج ٣ ص ٨٧

(٥) طه : ٧٧

متقدم، فاقتلع الله من نفس موسى الخوف من فرعون ، ثم أمنه في الأمر الجديد وهو السير بين جبال من الماء وبهذا اقتلع القرآن من نفوسهم كل مظاهر الخوف .  
ففي جانب توقع الخطر من لحاق فرعون بهم قال لا تخاف بشارة له بالأمان، و في جانب "الغرق" قال: "لا تخشى" لأن الشعور بالخطر عند قوم يسرون بين جبال الماء أمر عظيم وخطر متيقن <sup>(١)</sup> .

ومنه تقديم التذكر على الخشية في قوله تعالى: " اذهبوا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعلنا نذكره أو يخشى " <sup>(٢)</sup> .

فقدم التذكر على الخشية، لأنه لو تذكر أن الله هو ربه وهو خالقه لتحقيق في قلبه معنى الخشية. وعبر بالمضارع في هذا السياق لأن الخشية غير محققة، فلعلها تتحقق في المستقبل. "ولعل" في اللغة تَرَجَّ وطمع نقول: "لعلني أصير إلى خير" فمعناه "أرجو وأطمع أن أصير إلى خير والله عز وجل خاطب العباد بما يعقلون، والمعنى عند سيبويه فيه : اذهبوا على رجائكمما وطمعكمما، والعلم في الله عز وجل قد أتى من وراء ما يكون، وقد علم عز وجل أنه لا يتذكر ولا يخشى، إلا أن الحجة إنما تجب عليه بالإبانة وإقامتها عليه" <sup>(٣)</sup> .

ومنه تقديم الخشية على الإشفاق في قوله تعالى: " الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون " <sup>(٤)</sup> فلما كان الإشفاق ثمرة من ثمار الخشية قدم الخشية عليها فكانه قدم العلة على المعلول أو السبب على المسبب .  
والمعنى يخشون ربهم غائبين من مراعاة الناس لا يريدون بإيمانهم التصنع والتقرب

---

(١) أسرار الترادف في القرآن د. علي اليمني دردير ص ٥٥ ط دار ابن حنظل ١٩٨٥ م .

(٢) طه : ٤٣/٤٤

(٣) معاني القرآن وإعرابه - الزجاج ج ٣ ص ٣٥٧ .

(٤) الأنبياء : ٤٩

رجاء المنالة ولكن يخلصون إيمانهم لله قال أبو ذؤيب .<sup>(١)</sup>

أخالد ما راعيت من ذي قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدى فخشيتهم من عتاب الله لازم لقلوبهم إلا أن ذلك مما يظهرونه في الملا دون الخلا وهم من عذاب الساعة وسائر ما يجرى فيها من الحساب والسؤال مشفقون، فيعدلون بسبب ذلك الإشفاق عن معصية الله تعالى<sup>(٢)</sup>، ومنه تقديم الهداية على الخشية في قوله تعالى: "وأهديك إلى ربك فتخشى"<sup>(٣)</sup> أي وأرشدك إلى طاعة الله فتخافه وتتقيّه<sup>(٤)</sup>، فقدم معرفة الله على طاعته، لأنه ذكر الهداية وجعل الخشية مؤخرة عنها ومفرعة عليها، ودلت أيضا على أن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة<sup>(٥)</sup> .

قال تعالى : " إنما يخشى الله من عباده العلماء"<sup>(٦)</sup> ولذلك جاءت الخشية مترتبة على الهداية لأن الخشية لا تكون إلا من مهتد راشد.

#### ٤ - أسلوب القصر:

القصر والتخصيص سواء في المعنى، وهو في اللغة بمعنى الحبس قال تعالى: "حور مقصورات في الخيام"<sup>(٧)</sup> وعند البلاغيين "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"<sup>(٨)</sup> ومن طرق القصر إنما ، والنفي والاستثناء (ما و إلا) والعطف، والتقديم، وبعد أن تتبعنا ألفاظ الخشية التي وردت بصيغة المضارع تبين

(١) إعراب القرآن الزجاج ج ١ ص ٢٥١ تحقيق إبراهيم الأبياري ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٦٣م

(٢) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٥٤ .

(٣) النازعات : ١٩

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ١٩ ص ١٣١

(٥) التفسير الكبير الرازي ج ٣١ ص ٣٨ .

(٦) فتح القدير الشوكاني ج ٥ ص ٣٧٦

(٧) الرحمن : ٧٢

(٨) خلاصة المعاني المفتى ص ٢١٩ والبلاغة العربية د. أحمد مطلوب ص ١٢٣ .

لنا أن القرآن الكريم استخدم إنما وما وإلا استخداما واسعا يكاد يغطي كل مواطن القصر المذكورة .

ومن أمثلة القصر بإنما قوله تعالى: "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين" (١)

فبين سبحانه من هو حقيق بعمارة المساجد، بل جعلها مقصورة على أناس معينين، فقال "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر" وفعل ما هو من لوازم الإيمان من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولم يخش أحدا إلا الله، فمن كان جامعا بين هذه الأوصاف فهو الحقيق بعمارة المساجد لا من كان خاليا منها أو من بعضها" (٢) واقتصر على ذكر هذه الأوصاف الأربعة تنبيها إلى ما هو من أعظم أمور الدين مما ماعده مما افترضه الله على عباده لأن كل ذلك من لوازم الإيمان .

ومما نلاحظه أن القرآن استخدم صيغة الماضي في الأوصاف الثلاثة " آمن وأقام وآتى " واستخدم صيغة المضارع في الرابعة فقال " يخشى "، بل جاء مع الخشية بقصر جديد وأداة جديدة وهى النفي والاستثناء، وهذا يفيد معنى بلاغيا جديدا وهو الاستمرارية الخالصة لله فى جانب الخشية، والمقصود بالخشية فى الآية " خشية التعظيم والعبادة والطاعة أو كما قال الزجاج لم يخف فى باب الدين إلا الله " (٣)

ثم جاءت الخشية جزءا من المقصور عليه بإنما، وجاءت طرفا مستقلا يتمثل فى المقصور مع ما وإلا، وبهذا يتضح لنا أن الخشية لابد أن تكون خالصة لله خاصة به دون سواه، والقصر فى الآية قصر حقيقى، وهو من قبيل قصر الصفة على الموصوف، ومما نلاحظه أيضا أن القرآن استخدم فى هذا السياق

---

(١) التوبة : ١٨

(٢) فتح القدير الشوكاني ج ٢ ص ٤٣٧

(٣) انظر المحرر الوجيز ابن عطية ج ٦ ص ١٣٧ ومعاني القرآن وإعرابه الزجاج ج ٢ ص ٤٣٧ .

طريقين للقصر هما إنما وما وإلا، وهما وإن حملا معنى القصر إلا أنهما يختلف أحدهما عن الآخر من عدة وجوه .

أولا : المقصور عليه فى إنما هو المتأخر دائما بينما المقصور عليه فى النفي والاستثناء ما بعد إلا، سواء وقعت فى آخر الكلام مثل قوله تعالى: "وما يعلم جنود ربك إلا هو"<sup>(١)</sup> أو وقعت فى وسط الكلام مثل قوله تعالى: "ما هذا إلا بشر مثلكم"<sup>(٢)</sup> ثانيا: إنما تستعمل فى الأمور المعلومة التي لا يتطرق إليها الشك أو الإنكار، بينما النفي والاستثناء يستعمل فى الأمور المجهولة التي فيها مجال للشك والإنكار. فعندما نقرأ قوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة"<sup>(٣)</sup> فالمخاطبون لا ينكرون هذه الحقائق لأنهم هم المؤمنون. وعندما نقرأ قوله تعالى: "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا"<sup>(٤)</sup> فالكافرون ينكرون على القرآن أن يكون من شأنه أن يزيد فى خسارتهم ونقصهم، فكان مناسبا لهذا الإنكار أن يستخدم طريق النفي والاستثناء .

وقد تستخدم إنما فى مواطن الإنكار تنزيلا للمخاطب منزلة غير المنكر كما فى قوله تعالى: "قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا"<sup>(٥)</sup> فإن مريم رضى الله عنها وإن كانت تجهل هذه الحقيقة وتتكرها إلا أنها نزلت منزلة غير المنكر وغير الجاهل وخاصة أنها رأت من الكرامات الأمر العظيم، حيث جاءها الروح الأمين، فحرى بها إذن ألا تتكر هذا

---

(١) المدثر: ٣١

(٢) المؤمنون : ٢٤

(٣) الحجرات: ١٠

(٤) الإسراء: ٨٢

(٥) مريم ١٨ - ١٩

الأمر . وقد يستخدم النفي والاستثناء فى موطن عدم الإنكار تنزيلا للمخاطب منزلة المنكر كما فى قوله تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" (١) .

فالصحابة لا ينكرون هذه الحقيقة، ولكن لما هالهم ما سمعوه فأنكروا موته عليه الصلاة والسلام فكانهم أنكروا بشريته ، وإنكارهم لبشريته يلزم إنكارهم لرسالته ، لذا جاء القصر بما وإلا ولم يأت بإنما" (٢)

ومما نلاحظه أيضا فى هذه الآية (إنما يعمر مساجد الله...) أنها جاءت بطريق الخبر إلا أنها تحمل معنى الأمر وكأنه يأمر المسلمين بعمارة المساجد .

ومن الشواهد التى جاءت فيها الخشية جزءا من المقصور عليه مع إنما قوله تعالى: "إنما يتذكر أولو الألباب. الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب" (٣) فجعل هذه الأوصاف كلها جزءا من المقصور عليه وجاءت هذه الأوصاف مفسرة وموضحة لأولى الألباب .

ومن القصر بإنما قوله تعالى: "إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير" (٤) فالقرآن يخصص الجهة التى تنتفع بالإنذار وكان المعنى "أن إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الإنذار وبهذا يكون القصر على حقيقته ومن هذا القبيل قوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور" (٥) فقصر خشية الله على العلماء قصرا حقيقيا وهو قصر صفة على

---

(١) ال عمران : ١٤٤

(٢) انظر البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني د. فضل عباس ص ٣٧٥ دار الفرقان الاردن ١٩٨٩ وانظر فن البلاغة د. عيد القادر حسن ص ١٧٢ دار الشروق ١٩٨٣ م .

(٣) الرعد : ٢١

(٤) فاطر : ١٨

(٥) فاطر : ٢٨



موصوف وبهذا فقد عين الله سبحانه وتعالى أهل خشيته وهم العلماء. قال مجاهد:  
إنما العالم من خشى الله عز وجل. وقال مسروق: كفى بخشية الله علما، وكفى  
بالاغترار جهلا، فمن كان أعلم بالله كان أخشاهم له.<sup>(١)</sup> وقال الراغب الأصفهاني:  
إن القرآن عبر بالخشية في جانب العلماء لتيقنهم بعظمة الله وعلمهم بجلاله<sup>(٢)</sup>

وفى الآية معنى بلاغى جديد، إنه التقديم حيث قدم لفظ الجلالة (الله)  
المفعول به على الفاعل (العلماء)، وذلك لأن المقام مقام حصر الفاعلين، بمعنى أن  
خشية الله مقصورة على العلماء وخاصة بهم دون سواهم .

ومنه قوله تعالى: "إنما أنت منذر من يخشاها"<sup>(٣)</sup> فخص الإنذار بمن يخشى لأنهم  
المنتفعون بالإنذار<sup>(٤)</sup> .

القصر بإنما يفيد معنى التعريض:

مما تقدم يتضح لنا أن القصر بإنما يفيد معنى جديدا إنه التعريض، وقد  
عرفه ابن الأثير بقوله " هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع  
الحقيقي ولا المجازي "<sup>(٥)</sup> وهذا شبيه بما ذكره العلوي بقوله: هو المعنى الحاصل  
عند اللفظ لا به<sup>(٦)</sup>

وإذا أفادت إنما التعريض كانت أقوى وأبلغ في إيصال المراد، لأن التعريض أقوى  
من التصريح. واعلم " أنك إذا استقرت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى  
بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناها ولكن التعريض بأمر هو

(١) فتح القدير الشوكاني ج ٤ ص ٣٤٨ ومعاني القرآن وإعرابه الزجاج ج ٤ ص ٢٦٩ .

(٢) المفردات الراغب الأصفهاني ص ٤٨

(٣) النازعات : ٤٦

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ١٩ ص ١٣٦

(٥) المثل السائر ابن الأثير ج ٢ ص ١٩٨ تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانه دار نهضة  
مصر .

(٦) الطراز العلوي ج ١ ص ٣٨٠ دار الكتب العلمية - بيروت .

مقتضاه" (١) ولذلك لم يكن الغرض من القصر في قوله تعالى: "إنما يتذكر أولو الألباب" أن يعلم السامعون ظاهر معنى الآية وهو قصر التذكر على أولى الألباب وحسب، وإنما المراد ذم الكفار وجعلهم في حكم من ليس بذي عقل، وكذلك التعريض في قوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء" فلم يكن المراد بيان خشية العلماء وحسب، وإنما التعريض بالذين لا يخشون الله وإن كانوا من العلماء. ومثله التعريض في قوله تعالى: "إنما أنت منذر من يخشاها" وقوله تعالى: "إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب" ففيه ذم الكافرين الذين لا يخشون ربهم، ومن لم تكن لهم هذه الخشية كان كمن لم تكن له أذن تسمع وقلب يعقل، فالإنذار معه كلا إنذار" (٢).

### القصر بالنفي والاستثناء (ما وإلا) :

ومثاله قوله تعالى: "طه.. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" ،، إلا تذكرة لمن يخشى" (٣) فقصر إنزال القرآن على التذكرة والمعنى ما أنزلناه إلا تذكرة" وجعل الزجاج "إلا تذكرة" بدلا من "لتشقى" أى ما أنزلناه إلا تذكرة، وذكر أبو على الفارسي ذلك مبينا أن التذكرة ليست بشقاء، وجعله منصوبا على المصدرية أى أنزلناه لتذكر به تذكرة، أو على المفعول من أجله أى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به ما أنزلناه إلا للتذكر (٤).

وقال ابن عطية يصح أن ينصب قوله "إلا تذكرة" على البدل من لتشقى ويصح أن ينصب بفعل مضمّر تقديره لكن أنزلناه تذكرة (٥).

(١) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ص ٣٤٥ تحقيق د. محمود شاكر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٤م.

(٢) الإيضاح القزويني ص ٢٢١ وفتح القدير الشوكاني ج ٤ ص ٢٤٨

(٣) طه : ٣/١

(٤) فتح القدير ج ٣ ص ٣٥٦

(٥) المحرر الوجيز ابن عطية ج ١٠ ص ٤

ويرى البعض أن "إلا" بمعنى "لكن"، وعلى ذلك يكون المعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لكن تذكرة لمن يخشى" فتذكرة مستثنى من المصدر المؤول من تشقى بأن المضمر بعد لام التعليل، لأن المعنى "ما أنزلنا القرآن لشقائك لكن تذكرة لمن يخشى"<sup>(١)</sup> والخشية تتضمن الإيمان والعمل الصالح، إذ الخشية باعثة على ذلك . ونخلص من ذلك إلي أن القصر فى الآية القرآنية إما أن يكون بما وإلا وعلى ذلك فقد قصر إنزال القرآن على التذكرة ، وإما أن تكون إلا بمعنى لكن، وفى هذه الحالة تتغير طريق القصر لتصبح العطف "بلكن" ويكون المقصور عليه فى الحالتين ما بعد إلا وما بعد لكن، والقصر على حقيقته لأن الذى يتذكر يترتب على تذكره كل أمر حسن .

ومن القصر بالنفي والاستثناء قوله تعالى: "الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا"<sup>(٢)</sup> .

فقصر خشيتهم على الله وحده دون سواه، ولا يبالون بقول الناس، فجاء القصر على حقيقته، وهذا هو الأصل فى الخشية ، علما بأن هذا التخصيص جاء بعد العتاب الذى وجهه الله لرسوله عليه الصلاة والسلام فى قوله "وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منهن وطرا زوجناها كلها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منها وطرا وكان أمر الله مفعولا"<sup>(٣)</sup> فقلوه " وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" فيه قصر وتخصيص إلا انه لم يستخدم أحد طرق القصر، والمعنى لا تخش إلا الله فى أي حال من الأحوال " فلما خشى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول من

(١) انظر إعراب القرآن الكريم محي الدين الدرويش ج ٦ ص ١٦٧ اليمامة للطباعة والنشر

بيروت ١٩٨٨ م .

(٢) الأحزاب ٣٩

(٣) الأحزاب : ٣٧

الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها فعاتبه الله تبارك وتعالى على هذا القدر من خشية الناس في شيء قد أباحه الله له، وأعلمه أن الله أحق بالخشية في كل حال<sup>(١)</sup>.

ومما تقدم يتضح لنا أن أسلوب القصر في ألفاظ الخشية التي وردت بصيغة المضارع كان قصرا حقيقيا أي على سبيل الحقيقة وليس على سبيل الإضافة .

## ٥- الإيجاز:

يعتبر أسلوب الإيجاز من أهم خصائص اللغة العربية فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والإسهاب وكانوا يعدون الإيجاز هو البلاغة، ولذلك اهتم به البلاغيون ووضعوا له حدودا وأقساما وعرفوه بقولهم " هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح. وهو قسمان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف<sup>(٢)</sup>. وإن كان اللفظ ناقصا عن المعنى إلا أنه واف لأصل المراد .

ومن أمثلة الإيجاز قوله تعالى: " ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقنه فأولئك هم الفائزون"<sup>(٣)</sup> وقد اعتبر الإمام الرازي هذه الآية على إيجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين أن يفعلوه"<sup>(٤)</sup> وهذا الإيجاز مما لا حذف فيه وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة بدون حذف وهذا ما يعرف عند البلاغيين بإيجاز القصر فقوله " ومن يطع الله ورسوله" أي فيما ساءه وسر " ويخشى الله" فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي " ويتقنه" فيما بقي من عمره. فأولئك هم المفلحون .

(١) المحرر الوجيز ابن عطية ج ١ ص ٧١

(٢) انظر الإيضاح القزويني ص ٢٨١ والمثل السائر ابن الأثير ج ٢ ص ١١٤ و خلاصة المعاني

المفتى ص ٢٨٣ والبلاغة العربية د. احمد مطلوب ص ١٤٨

(٣) النور: ٥٢

(٤) التفسير الكبير الرازي ج ٢٤ ص ٢٠

## ٦. التعليل :

وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي<sup>(١)</sup> ويسمى حسن التعليل. وبين العلوي أن التعليل يأتي على ضربين: إما أن يأتي صريحاً في اللفظ وإما ألا يأتي صريحاً في اللفظ، وإنما يؤخذ من جهة السياق والمعنى<sup>(٢)</sup> وغالب التعليل في القرآن الكريم يأتي على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وهو سؤال عن العلة كما قال الزركشي، إلا أنه يريد به التعليل الحقيقي. ولذلك تحدث عن الطرق الدالة على العلة كالتصريح بلفظ الحكم أو الإثبات بكى، أو، أن وغير ذلك<sup>(٣)</sup> ومن هذا القبيل — والله أعلم — قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين". فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين<sup>(٤)</sup>.

فقد علل المنافقون مودتهم لليهود والنصارى بقولهم نخشى أن تصيبنا دائرة، وذلك أن اليهود ونصارى نجران كانوا أهل ثروة، فكانوا يعينون المنافقين على مهماتهم ويقرضونهم، ويقول المنافقون إنما نخالطهم لأننا نخشى أن تصيبنا دائرة، ويقصّدون بذلك أن يظفر اليهود بالمسلمين فلا يدوم الأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم، ويعود الأمر لما كان عليه قبل ذلك "ولذلك كان قولهم، نخشى أن تصيبنا دائرة جملة مشتملة على تعليل المسارعة فى الموالة. وقيل إن الجملة حال من ضمير يسارعون أى أن هذه الخشية هى الحاملة لهم على المسارعة

(١) الإيضاح القزويني ص ٥١٨ وتحرير التعبير ابن أبي الإصبع المصري ص ٣٠٦

(٢) الطراز العلوي ج ٣ ص ١٣٨

(٣) انظر البرهان فى علوم القرآن الزركشي ج ٣ ص ٩١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار

المعرفة-بيروت

(٤) المائدة ٥١/٥٢

المعاني المستفادة من التعبير بالمضارع في قوله " نخشى أن تصيبنا دائرة" التعبير بالمضارع في هذا السياق له فوائد عدة :

١. بين لنا القرآن استمرارية خوف المنافقين، فهم دائماً يخافون أن تصيبهم دائرة .  
" والدائرة كما قال الواحدى رحمه الله من دوائر الدهر كالدولة وهى التى تخشى كالهزيمة " (١)

٢. أفاد المضارع الاستقبال وذلك لأن الخشية من الإصابة متوقع حدوثها في المستقبل.

٣. تجدد الخوف في نفوسهم حتى لو أصابتهم دائرة، لتجدد الخوف من دائرة جديدة.  
وبهذا لا ينقطع الخوف عنهم، دلالة على أن بعدهم عن الإيمان هو الذي يجدد في نفوسهم الخوف والاضطراب وعدم الاستقرار .

#### ٧. التوضيح بعد الإبهام

وهو صورة من صور الإطناب ويأتي لغرض التفخيم والتعظيم لشأن الأمر المبهم (٢) كقوله تعالى: "إنما يتذكر أولو الألباب. الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب" (٣)

فقوله " إنما يتذكر أولو الألباب" مبهمة فسرت بما بعدها، وهذا الإبهام والتفسير فيه تفخيم للأمر وتعظيم، فيبدو في صورتين مختلفتين ،وعندئذ يقع في النفس أطيب موقع، ويتمكن لديها أفضل تمكن، لأنه جاء والنفس تبحث عنه وتتطلع إليه . (٤)

---

(١) انظر فتح القدير الشوكاني ج ٢ ص ٥٠، والجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ٦ ص ١٤١

، والتفسير الكبير الرازي ج ١٢ ص ١٦

(٢) التفسير الكبير ج ١٢ ص ١٦

(٣) الرعد : ٢١/١٩

(٤) انظر معجم المصطلحات البلاغية احمد مطلوب ج ٢ ص ٣١٤

وبعد هذا العرض والتفصيل لصيغة المضارع التى جاءت بها ألفاظ الخشية تبين لنا هذا الكم من الأساليب البلاغية المتعددة التى استخدمت للتعبير عنها بهذه الصيغة، والتى أظهرت لنا عددا من المعاني البلاغية الجديدة التى تظهر فى حقيقتها الإعجاز القرآني العظيم الذى لا تتقطع فوائده ولا تنتهي عجائبه .  
**ثانيا: الماضي:**

استخدم القرآن الكريم الفعل الماضى فى التعبير عن الخشية فى مواطن متعددة تتمثل فى ستة مواضع. ومعلوم عند البلاغيين أن الماضى له قيمة بلاغية، فحيثما وجد دل على تحقق وقوعه، وقد استخدم القرآن صيغة الماضى بدلا من المضارع فى مواطن كثيرة ومتعددة للدلالة على ذلك الغرض كقوله تعالى: "ويوم ينفخ فى الصور ففرع"<sup>(١)</sup> فعبر بالماضى "فرع" بدلا من المضارع (فسيفزع) وبذلك جعل القرآن الذى لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع الذى لا شك فيه .

والفعل الماضى عند النحويين " ما دل على حدث فى زمن انتهى وانقطع قبل الكلام "<sup>(٢)</sup> وبالنظر إلى المواطن التى استخدم فيها القرآن الكريم صيغة الماضى للتعبير عن الخشية وجدناها تحمل هذا المفهوم ،وقد استخدم القرآن أساليب عدة لإظهار معنى الخشية مثل القصر، وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر، والتفسير بعد الإيهام، وغيره من الأساليب .

ومن أمثلة الماضى التى استخدمها القرآن الكريم قوله تعالى: "ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت

---

(١) النمل : ٨٧

(٢) شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٤

منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم" (١) . فعبر بالماضي "خشى" لأن العنت الذي يمثل الضرر الشديد الشاق وهو الوقوع في الإثم (٢) يسبق الزواج ويمثل الحالة النفسية الدافعة للزواج، وينتهي به، وكأن الخوف من العنت ينتهي بالزواج، فعبر بما يفيد الانتهاء والانقطاع . والخوف في مثل هذه الأحوال واقع لا محالة وخاصة أن " الشيق الشديد ربما يحمل على الزنا فيقع في الحد في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة ولذلك تعدى الفعل "خشى" إلي نصب المفعول به مباشرة لكى تكون الخشية من العنت شاملة دلالة على شدة الضرر الذي يخشى وقوعه وهو الزنا والفجور، وأما لو تعدى بحرف الجر " من" لكانت الخشية من بعض العنت وليس من كله، وليس هناك خطر وشدة أعظم أكبر من الزنا .

ومن الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن للتعبير معنى الخشية في هذا المقام خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ويتمثل الموضوعات التالية :

#### أولا : التعبير عن المفرد بلفظ الجمع

ومن أمثله قوله تعالى: " وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا" (٣) فعبر بالجمع فخشينا بدلا من المفرد (فخشيت) على لسان الخضر وكأن الله أطلعه على سر قتل الغلام، فأشرك الله معه في صيغة الخطاب، وإذا كان الخطاب من الله فهو بصيغة المعظم نفسه قال الفراء معنى فخشينا" فعلمنا (٤) وقال الزجاج فخشينا من كلام الخضر ومعناه كرهنا ولا يجوز أن يكون فخشينا عن الله والدليل على ذلك قوله تعالى: " فأردنا أن يبدلها ربهما" وقد يجوز

(١) النساء : ٢٥

(٢) انظر معاني القرآن الفراء ج ١ ص ٢٦١ عالم الكتب بيروت ط ٢ ١٩٨٠م ومجاز

القرآن لأبي عبيدة ج ١ ص ١٢٣ مكتبة الخانجي مصر

(٣) الكهف : ٨٠

(٤) معاني القرآن الفراء ج ٢ ص ١٥٧



أن يكون فخشينا عن الله عز وجل لأن الخشية من الله معناها الكراهية وفي الآدميين الخوف (١) .

ومما تقدم يتضح لنا السر البلاغي في التعبير عن المفرد بلفظ الجمع سواء كان المراد الخضر أو المراد الله سبحانه وتعالى  
ثانياً: التعبير عن الجمع بلفظ المفرد

كقوله تعالى " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه (٢) .

فعبر بالمفرد "خشي" ربه بدلاً من الجمع "يخشون ربهم" وذلك تنبيهاً لكل إنسان أن يحقق هذه المعاني في نفسه ليكون من أصحاب الجنة . وبهذا يبين لنا القرآن " أن ذلك الرضوان والجزاء لمن وقعت منه الخشية لله سبحانه وتعالى في الدنيا، وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية التي وقعت له" (٣) فجزاء الخشية "يدل على عظمتها عند الله، وبعد أن يعلم الإنسان هذه الحقيقة ما عليه إلا أن يكـد ويجتهد ليحقق هذا المعاني في نفسه، وينال رضوان الله سبحانه وتعالى .

ثانياً: أسلوب القصر:

وهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص وهذا يعنى إثباته له ونفيه عن غيره (٤) كقوله تعالى " وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . إنما

---

(١) معاني القرآن وإعرابه الزجاج ج ٣ ص ٣٠٥ وانظر مختار الصحاح الإمام محمد بن أبي

بكر بن عبد القادر الرازي ص ١٧٦ ترتيب محمود خاطر دار الفكر - بيروت

(٢) البينة : ٨،٧

(٣) فتح القدير ج ٥ ص ٤٧٧

(٤) انظر البلاغة الاصطلاحية د. عبده قلقيه ص ٢٣٩ دار الفكر العربي القاهرة ط ٣

١٩٩٢م

تذّر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم" (١) فبعد أن حدد القرآن الجهة التي لا تنتفع بالإنذار حدد الجهة التي تنتفع به مستخدماً أسلوب التخصيص بإنما وهي عند العرب تأتي لا ثبات ما بعدها ونفي سواء وقد علل السكاكي إفادة إنما التخصيص لكونها تحمل معنى "ما وإلا"، ويوضح ذلك بما نقله عن علي بن عيسى الربعي النحوي قال: لما كانت إن لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها "ما" المؤكدة ناسب أن تضمن معنى القصر (٢) وبذلك فقد خصصت "إنما" من ينفعه الإنذار، ويتمثل ذلك فيمن اتبع الذكر وهو العمل بكتاب الله تبارك وتعالى والاقتداء به والخشية من الرحمن في الخلوات عند مغيب الإنسان عن عيون البشر (٣).

### ثالثاً : التفسير بعد الإبهام

وهو صورة من صور الإطناب وقد تقدم الحديث عنها في صيغة المضارع ومن أمثلته بصيغة الماضي قوله تعالى: "وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد. هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ. من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب" (٤). فقوله لكل أبواب حفيظ مبهمة، فسرت ووضحت بما بعدها، وكأن سائلاً يسأل من هو الأبواب الحفيظ؟ فجاء الجواب: من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب. ولذلك جعل الشوكاني قوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب" في محل جر بدلاً من أبواب أو بيانا لها (٥).

(١) يس : ١٠، ١١

(٢) مفتاح العلوم السكاكي ص ٢٩١ تحقيق نعيم زرزور دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣م.

(٣) المحرر الوجيز ابن عطية ج ١٢ ص ٢٧٩ .

(٤) ق : ٣١-٣٣

(٥) فتح القدير ج ٥ ص ٧٨

ويجوز أن يكون خيرا لمبتدأ محذوف تقديره " هو من خشى" (١) .

## رابعاً : المصدر

إن كنا قد عرفنا الفعل بأنه ما دل على حدث في زمن، فإن المصدر هو ما دل على حدث فقط، ولا يرتبط بزمن، ويدل على كمال الصفة أو المعنى. وجعله البصريون أصل المشتقات لكونه بسيطاً يدل على الحدث فقط بخلاف الكوفيين الذين اعتبروا الفعل أصل المشتقات لأن المصدر يجيء بعده في التصريف (٢) .

وقد استخدم القرآن الكريم المصدر في التعبير عن الخشية في مواطن متعددة تتمثل في ثمانية مواضع، ومعلوم أن المصدر يدل على كمال الصفة أو المعنى، ومن أمثلته قوله تعالى: " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا" (٣) فقد أعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحا وبحلاً (٤) . وهذا خبر من الله كشف لنا عن هذه الحقيقة - وفيها معنى بلاغي آخر وهو التخصيص، وخاصة أن الكلام جاء في صورة المبتدأ والخبر، دلالة على أنهم هم المختصون بالشح. (٥) وفيها تعليل للإمساك فقوله " خشية الإنفاق" تعليل وسبب للإمساك، ولذلك جاءت مفعولاً لأجله . والمعنى لأمسكنم لأجل خشية الإنفاق، أي خشية أن تنفقوا فتفتقروا . وبهذا فقد حوت الآية ثلاثة أساليب بلاغية هي الخبر والتخصيص والتعليل . وقد تقدم الحديث عنها .

(١) إعراب القرآن محي الدين الدرويش ج ٩ ص ٢٩٦

(٢) انظر شذا العرف في فن الصرف أحمد الحماوى ص ٤٤ دار الكتب المصرية القاهرة

١٩٢٧م وشافية ابن الحاجب رضى الدين محمد بن الحسن النحوي ص ١٥١ دار

الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥م .

(٣) الإسراء : ١٠٠

(٤) معانى القرآن - الزجاج ج ٣ ص ٢٦٣

(٥) فتح القدير الشوكاني ج ٣ ص ٢٦١

ومن الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن للتعبير عن الخشية بصيغة

المصدر:

**المجاز:** والذي يمثل عند البلاغيين استخدام الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة مانعه من إرادة المعنى الأصلي. وهذا المعنى ذكره السكاكي بقوله "المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة ما تدل عليه بنفسها في ذلك النوع" (١). ومن هذا القليل استخدام الخشية للجملات استخداماً مجازياً كقوله تعالى: "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط خشية الله وما الله بغافل عما تعملون" (٢) فبين الله سبحانه وتعالى أن الحجارة القاسية أنفع من قلوبهم لخروج الماء منها وهبوطها من خشية الله. قال مجاهد: كل حجر يتفجر منه الماء وينشق عن ماء أو يتردى من رأس جبل فمن خشية الله (٣) والخشية مجاز على انقيادها لأمر الله تعالى وأنها لا تمتنع على ما يريد منها (٤). وقد اعتبرها القاسمي في محاسنه من المجاز البليغ (٥) وقد سماها القرطبي والطبري والشوكاني استعارة وقالوا بأن الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت الإرادة للجدار في قوله تعالى: "يريد أن ينقض فأقامه" (٦) وعلى هذا فإنهم لا يفرقون بين المجاز والاستعارة،

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص ٣٥٩

(٢) البقرة : ٧٤

(٣) المحرر الوجيز ابن عطية ج ١ ص ٢٦

(٤) الكشف الزمخشري ج ١ ص ٢٩١

(٥) محاسن التأويل القاسمي ج ١ ص ١٥٩ دار أحياء الكتب العربية مصر وانظر إرشاد

العقل السليم إلى مزايا الكتاب السليم لأبي السعود ج ١ ص ١٣٩ دار الفكر بيروت .

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ١ ص ٢٨٨ وجامع البيان للطبري ج ١ ص

٢٨٨ وفتح القدير الشوكاني ج ١ ص ١٠١

فالاستعارة هي لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهذا هو الحد الأدنى الذي تلتقي فيه الاستعارة مع المجاز. ومثله قوله تعالى: "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون" (١).

ومن الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن في التعبير عن الخشية :  
التشبيه:

ويعرف عند البلاغيين بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى بأداة ظاهرة أو مقدرة (٢) ومن التشبيه قوله تعالى: ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية (٣) فقد جاء المشبه به وهو "خشية الله" مصدرا وبذلك تعتبر أصلا يقاس عليها وهي صفة لمصدر محذوف أى " خشية كخشية الله"، وأو للتويع على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله، وخشية بعضهم أشد خشية (٤) وأوضح ابن عطية التشبيه بقوله " انهم كانوا يخافون الله في جهة الموت، لأنهم لا يخشون الموت إلا منه، فلما كتب عليهم قتال الناس، ورأوا أنهم يموتون بأيديهم، فخشوهم في جهة الموت كما كانوا يخشون الله في جهة الموت، ويحتمل أن يكون المعنى يخشون الناس على حد خشية المؤمنين الله عز وجل . ثم بين آراء العلماء حول "أو" فقالت فرقة: "أو" بمعنى الواو، وفرقة بمعنى بل، وفرقة للتخيير، وفرقة على بابها في الشك في حق المخاطب، وفرقة على جهة الإبهام على المخاطب. (٥)

(١) الحشر : ٢١

(٢) الإيضاح القزويني ص ٣٢٨

(٣) النساء: ٧٧

(٤) فتح القدير الشوكاني ج ١ ص ٤٨٨

(٥) المحرر الوجيز ابن عطية ج ٢ ص ٨٠

ومنها: التقديم : كتقديم الخشية على الإشفاق في قوله تعالى: " يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون" <sup>(١)</sup> وقوله تعالى: "إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون" <sup>(٢)</sup>.

#### والتقديم في الآية من زاويتين :

**الأولى :** تقديم الضمير " هم " وذلك يعمل على تقوية الحكم وتقريره في نفس السامع، ولذلك يعتبر تقديمه أبلغ، لأن التوكيد يكون للحكم، ليتضح لنا أن الله هو الأحق بالخشية دون سواء سواء أكان الخاشي ملكا كما في الآية الأولى والمعنى وهم من خشيته منه مشفقون فالمصدر مضاف إلى المفعول به <sup>(٣)</sup> أم كان الخاشي إنسانا كما في الآية الثانية. واجتماع الإشفاق والخشية يدلان على أن المطلوب هو الدوام في الطاعة فإذا بلغ الخاشي في الخشية إلى حد الإشفاق فهو كمال الخشية . لأن الخشية خوف مع تعظيم، والإشفاق خوف مع توقع وحذر وفيه رقة وضعف <sup>(٤)</sup> .

#### الثانية : تقديم الخشية على الإشفاق

لما كان الإشفاق ثمرة من ثمار الخشية وأثرا من آثارها قدمت الخشية عليه، فكانه قدم العلة على المعلول والسبب على المسبب، والخشية من عقاب الله لازمة لقلوبهم، والإشفاق بسبه يعدلون عن معصية الله تعالى . ومن التقديم قوله تعالى: " ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا " <sup>(٥)</sup> .

(١) الأنبياء : ٢٨

(٢) المؤمنون : ٥٧

(٣) فتح القدير الشوكاني ج ٣ ص ٤٠٥

(٤) انظر التفسير الكبير الرازي ج ٢٣ ص ٩٣ والشوكاني ج ٣ ص ٤٠٥

(٥) الاسراء : ٣١

فالخشية من الفقر كانت سبباً في تقديم الأبناء على الآباء في قوله: "نحن نرزقهم وإياكم" فقدم الأبناء لأنهم سيكونون ضحية هذا التخوف في المستقبل، وحتى يبين للآباء أن رزق أبنائكم على الله سبحانه وتعالى وليس عليكم، فإن تحقق منكم القتل فهو القتل العمد ولا وجه له "لأنه يعمل على إفناء النسل، ولذلك نهى الله عن قتل الأولاد، والخشية في الآية مفعول لأجله وهو مصدر معنوي لأن الشرط في المفعول لأجله أن يكون مصدراً قلبياً معنوياً وأن يتفق مع العامل في الوقت والفاعل، فالعامل هو الفعل قتل، والفاعل هم الآباء في القتل والخشية، والوقت فإنه بمجرد أن يخشى الفقر يتحقق القتل.

وبالمقارنة مع الآية المماثلة لهذه الآية تتضح لنا حقيقة التقديم الذي سببته الخشية، ففي قوله تعالى: **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**<sup>(١)</sup> تقدم الآباء على الأبناء لان الفقر واقع محقق وهم الذين يعانون مرارة هذا الفقر ومع ذلك فقد نهاهم الله عن قتل الأولاد وطمأنهم بأن الله يرزقهم ويرزق أبناءهم. وبعد هذا العرض لصيغ الخشية مضارعة وماضية ومصدرا وأمرأ تبين لنا هذا الكم الكبير من الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم في التعبير عن معنى الخشية حتى ظهرت لنا بهذا المظهر العظيم، والذي يدل على إعجاز القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه.

#### المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. الإتقان في علوم القرآن - السيوطي - القاهرة ١٣٦٨هـ .
٣. أثر القراءات في الأصوات - د. عبد الصبور شاهين - مكتبة الخانجي القاهرة ط ١١٩٨٧ م.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - لأبي السعود - دار الفكرة - بيروت.
٥. أسرار الترادف في القرآن - د. علي اليمنى دردير - دار ابن حنظل ١٩٨٥م

(١) الأنعام: ١٥١

٦. أصوات اللغة العربية - د. عبد الغفار هلال - مكتبة وهبه - القاهرة ط٢  
١٩٩٦م .
٧. إعجاز القرآن - الرافعي - المكتبة التجارية - ط ٨ ١٩٦٩م .
٨. إعراب القرآن الكريم - محيي الدين الدرويش - اليمامة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٨م .
٩. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل ط٥  
١٩٧٩م .
١٠. الإيضاح - الخطيب القزويني - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتاب  
اللبناني بيروت ط٤؛ ١٩٧٥م .
١١. البرهان في علوم القرآن - الزركشي - دار المعرفة - بيروت ط٢ .
١٢. البدر الزاهرة في القراءات المتوترة - عبد الفتاح القاضي - دار الكتاب  
العربي بيروت ط١ ١٩٨١م .
١٣. البلاغة الاصطلاحية - د. عبده قلقيلة - دار الفكر العربي القاهرة ط٢ ١٩٩٢م .
١٤. البلاغة الصوتية في القرآن الكريم - د. محمد إبراهيم شادي - مطبعة الرسالة القاهرة ط١  
١٩٨٨م .
١٥. البلاغة العربية - د. أحمد مطلوب - وزارة التعليم العالي ط١ ١٩٨٠م .
١٦. البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني - د. فضل عباس - دار الفرقان الأردن
١٧. البيان والتبيين - الجاحظ - تحقيق فوزي عطوى - بيروت .
١٨. التفسير الكبير - الفخر الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت .
١٩. تحرير التحرير - ابن أبي الأصبع المصري - تحقيق د. حفي شرف القاهرة  
١٣٨٣هـ .
٢٠. الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٩٨٨م .
٢١. خلاصة المعاني - المفتي - تحقيق د. عبد القادر حسين الناشرون العرب السعودية  
١٩٨٩م
٢٢. دراسة الصوت اللغوي - د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب ط٢ ١٩٨١م .
٢٣. دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمود محمد شاكر مكتبة



الخانجي القاهرة ١٩٨٤ .

٢٤. شافية ابن الحاجب - رضى الدين النحوي - دار الكتب العلمية بيروت  
١٩٧٥ م.

٢٥. شرح ابن عقيل - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ٢ .  
٢٦. شذا العرف في فن الصرف - أحمد الحملاوي - دار الكتب المصرية القاهرة  
١٩٢٧ م .

٢٧. الطراز - للعلوى - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٨. علم المعاني - عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٤ م .

٢٩. علم اللغة العام - د. كمال بشر - دار المعارف مصر .

٣٠. علوم البلاغة - المراغي - دار الكتب العلمية . بيروت .

٣١. فتح القدير - الشوكاني - دار المعرفة - بيروت .

٣٢. الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري - دار الآفاق الجديدة بيروت ط ٥ ١٩٨٣ م .

٣٣. فن البلاغة - د. عبد القادر حسين - دار الشروق ١٩٨٣ .

٣٤. الكشف - الزمخشري - دار الكتب العلمية - بيروت .

٣٥. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها - مكى القيسى - تحقيق د. محيى الدين  
رمضان مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ ١٩٨١ م.

٣٦. لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف القاهرة .

٣٧. المثل السائر - ابن الأثير - تحقيق د. أحمد الحوفى و.د. بدوي طبانه دار نهضة مصر

٣٨. مجاز القرآن أبو عبيدة مكتبة الخانجي مصر .

٣٩. محاسن التأويل القاسمى دار إحياء الكتب العربية مصر

٤٠. المحرر الوجيز ابن عطية الدوحة ط ١ ١٩٨٧ م .

٤١. مختار الصحاح - الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي - ترتيب

محمود خاطر - دار الفكر بيروت .

٤٢. معجم المصطلحات البلاغية - د. احمد مطلوب - المجمع العلمي العراقي

١٩٨٦ م.

٤٣. المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - مصر - دار المعارف .
٤٤. معاني القرآن - الفراء - عالم الكتب بيروت ط ٢ ١٩٨٠ م .
٤٥. معاني القرآن وإعرابه - الزجاج - تحقيق د. عبد الجليل شلبى - عالم الكتب بيروت ط ١ ١٩٨٨ م .
٤٦. مفتاح العلوم - السكاكي - تحقيق نعيم زرزور - دار الكتب العلمية - بيروت
٤٧. النحو الوافي - عباس حسن - دار المعارف - مصر ط ٥
٤٨. نقد النثر - قدامة بن جعفر - دار الكتب العلمية - بيروت .
٤٩. النكت والعيون - الماوردي - دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٩٢ م .